

سؤال الإنسان والتكنولوجيا في زمن ما بعد الإنسان

The Question of Man, Technology, and the Posthuman in the Age of the Posthuman

وحدة البحث، علوم الإنسان للدراسات	فلسفة تطبيقية	تبانى خديجة* Tebani Khedidja tebanikhedidja43@gmail.com
الجزائر) جامعة محمد بن أحمد وهران 2		
وحدة البحث، علوم الإنسان للدراسات	فلسفة معاصرة	رزاق كريمة Rezak Karima Kari.philo@yahoo.com
الجزائر) جامعة محمد بن أحمد وهران 2		

تاريخ النشر: 2025-12-31

تاريخ القبول: 2025-05-05

تاريخ الإرسال: 2025-03-04

ملخص:

دفع التطور العلمي الهائل الذي حصل على مستوى الطب والبيولوجيا الإنسان إلى أن يتجاوز ذاته، أي أن يعقد اليقين في العلم ويسلم له مؤملاً فيه الخلاص من عذابات الأبدية سواء ما تعلق بالمرض أو ما تعلق بالتجسين والسعي الحثيث نحو بلوغ الكمال، أقرب إلى مشاهية الإله، وانطلاقاً من فكرة التحول من الانتخاب الطبيعي عند داروين وصولاً إلى انتخاب الإنسان للإنسان والبحث في المسافة الأنثروبولوجية بين الإنسان والميتا إنسان أو ما يصطلح عليه بالترانس، تم الاستعانة بالمنهج التحليلي مستقرين المسار التاريخي لتشكيل الفكرة في نسخته الأولى وصولاً إلى الذروة. لذا سنعمل على تحليل مفهوم الإنسانية ومحاولة ضبطه كمفهوم متغير في ظل الفوضى الإتيقية وسيطرة التقانة المادية.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية التقليدية، ما بعد الإنسانية، الفلسفة، البيوتكنولوجيا، السايبرورغ، الكرامة الإنسانية، الذكاء الاصطناعي.

Abstract:

The tremendous scientific progress achieved in medicine and biology has driven humankind to transcend itself — to place absolute faith in science and surrender to it, hoping to find in it salvation from the torments of eternity, whether related to illness or to the relentless pursuit of self-improvement and perfection, approximating the divine. Starting from the idea

* الباحث المرسل: tebanikhedidja43@gmail.com

of the shift from Darwinian natural selection to human selection and the exploration of the anthropo-ethical distance between the human and the meta-human — or what is termed the “transhuman” — this study adopts an analytical approach to trace the historical trajectory of this idea from its early formulation to its culmination. Therefore, we will analyze the concept of humanism and attempt to define it as a variable notion amid ethical chaos and the dominance of material technology.

Keywords: Traditional humanism, posthumanism, philosophy, biotechnology, cyborg, human dignity, artificial intelligence.

1. مقدمة:

إنّ فكرة البحث عن الكمال جعلت الإنسان يبحث عن كيفية للتخلص من المعاناة وأن يشق دروبا مختلفة في قضايا الوجود ومعاني الخلود والوصول لتمثل الإله من خلال سعيه لكل ما من شأنه أن يجعله سعيد فراهن على شقه الروحي متوسلا به تجاوز رباعية الموت والفقر والمرض والشيخوخة وكلها مساعي لتخطي الإنسان بالإنسان لبلوغ الإنسان الكامل تارة والأعلى تارة أخرى، لكن في خضم ذلك أشكل الإنسان على الإنسان بلغة التوحيدي فراهن مجددا على العلم كمخرج من مأزق تفتت الذات وتمزقها مع الموت المتتالية، فمن موت الإله مع (نيتشه) إلى موت الإنسان مع (فوكو) تم الإعلان عن ميلاد للإنسان الجديد سعي ما بعد الإنسان أو كما يعرف بالإنسانية المتجاوزة وهو ما يصطلح عليه بالترانس(الإنسان المعزز)، فطغيان الذات وتضخمها جراء الكشف البيو تكنولوجية المعاصرة والتي ما فتأت أن تُغري الإنسان في أن يزيد شغفا لبلوغ الكمال في أقصى صورته الروحي والجسدي معا وذلك من خلال القضاء على الأمراض المستعصية، بل وصلت مزاعم العلم أن يدّعي السعادة كل ذلك أفرز تحديات وأزمات حقيقية مسّت بكرامة الإنسان ووجوده وأثيرت العديد من التساؤلات حول الإنسان وما بعد الإنسان وماذا بقي من هذا الإنسان؟ وأي تحديات أمام الفلسفة المعاصرة لضمان فرص العيش في مجتمع يتجاوز الإنسانية التقليدية؟ وكيف يمكن للتطورات الحاصلة في العلوم الوراثية اليوم أن تساهم في تغيير فهمنا للإنسانية؟ وهل يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعي اليوم جزءا من المفهوم المتجاوز للإنسانية؟

2. من الإنسان إلى تفكيك مفهوم الإنسانية

لقد عرفت النظرة الكلاسيكية للإنسان باعتباره كائنا عاقلا واعيا تحولاً مركزياً أدى تغيير النظرة التقليدية لمهيته فمفهوم الإنسان يختلف باختلاف الخطاب إن كان فلسفياً أو علمياً.

بداية وقبل أن نناقش التحديات الحديثة لمفهوم الإنسانية لابد من الوقوف عند سؤال أساسي ما الإنسان؟ وعلى نفس السؤال يجيب (أرنست كاسيرر) بأنه "ذلك المخلوق الدائم البحث عن نفسه – مخلوق عليه أن يتفحص ويتأمل أحوال وجوده في كل لحظة من لحظات هذا الوجود" (كاسيرر، أ، 1961، ص 36)

إذ يعتبر الإنسان كائن رمزي عكس الفلسفة العقلية (ديكارت) والتجريبية (بيكون)، لذا كان من الضروري العودة إلى الذات الإنسانية وفهم كُنْهها والتوجه بالأساس نحو النفس البشرية.

1.2 السفسطائيون، مؤسسو النزعة الإنسانية

من أهم المباحث الفلسفية التي تناولها الفلاسفة القدماء بالدراسة مبحث الوجود والبحث عن أصل الكون من قبل الفلاسفة الطبيعيين الأوائل ونال نصيباً من البحث والمعالجة إلى أن تغير مجرى البحث من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي أو الإنسان وكل ما يتعلق بحياته العملية من طرف السفسطائيون* بزعامة بروتاغوراس (500 ق م/ 411 ق م) وغورغياس (480 ق م/ 375 ق م) شعاراً مفاده: "الإنسان مقياس كل شيء، الموجود أنه موجود واللا موجود أنه موجود" (فخري، ما، 1991، ص 54) وهذا دلالة على أن الإنسان يعتمد على إحساساته من أجل إدراك المعارف وتكون الحواس مصدراً لها، وتصبح المعرفة نسبية متغيرة تتغير بتغير الأشخاص فما يراه شخص ما على أنه صحيح قد يخالفه شخص آخر فهم يعارضون القول بالحقيقة المطلقة الثابتة، وما يصدق على المعرفة يصدق على الأخلاق فكل ما حقق لي منفعة فهو خير وما حقق لي مضرة فهو شر فمقياس تحديد خيرة القيم الخلقية وشرها يستند إلى الإنسان بمفرده فتكون بذلك أخلاقاً نسبية وهذا ما أكدّه غورغياس في كتابه (في اللاوجود) الذي يلخص ثلاث قضايا الأولى: لا يوجد شيء، الثانية: إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه، والثالثة: إذا فرضنا إنساناً أدركه فلن يستطيع أن يُبلّغه لغيره من الناس. (كرم، ي، 1936، ص 61)

لقد كان يعتقد السفسطائيون بأن الطبيعة الانسانية قد تحكمها جملة من الغرائز والأهواء ولا بد لها من أن تتجاوز القوانين الوضعية التي وُضعت أصلا لقهر الإنسان.

2.2 سقراط معارضا للسفسطائية

يعتبر سقراط (469 ق م / 399 ق م) الشخصية الفلسفية التي خلفت أثرا بالغاً على باقي الفلسفات اللاحقة فهو الذي وصفه الخطيب الروماني شيشرون بأنه هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ذلك أن اهتمامه كان بالدرجة الأولى بالإنسان كذات لابد من العودة إليها رافعا شعار "اعرف نفسك بنفسك" وهي دعوة صريحة للعودة إلى كُنْه وجوهر الذات الباطنية وإدراك أحوالها وأفعالها إدراكا مباشرا دون وسيط. وقد نبه أيضا من خلاله إلى ضرورة الغوص في فهم الذات والفطرة الإنسانية.

اعتمد سقراط على منهج التحكم والتوليد مستخدما طريقة الجدل والحوار سبيلا للوصول إلى الحقيقة المطلقة الثابتة التي اعترض عليها السفسطائيون. ليهتم بالإنسان خاصة الأخلاق لما لها من أهمية.

الإنسان عنده روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة (...). فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي (كرم، ي، 1936، ص 68) وبما أنه كائن عاقل فكان لزاما استخدام العقل للتمييز بين الخير والشر، الفضيلة والرذيلة، فالعلم عنده فضيلة والجهل رذيلة، وبهذا يكون سقراط هو الذي أعطى أهمية للمفاهيم والتصورات كمفهوم العدالة، العفة، الفضيلة والشجاعة وغيرها من المفاهيم التي تساهم في تقديس الذات وتمجيدها.

3.2 تصور الفلاسفة المسلمين للإنسان في العصر الوسيط .

تعد النزعة الإنسانية في الفكر العربي الإسلامي من بين أهم المسائل الفكرية التي تناولها المفكرون بالدراسة والبحث أمثال التوحيدي، ابن مسكويه وغيرهم خاصة ما تعلق الأمر بنقد العقل الاسلامي وسنحاول أن نسلط الضوء على الجزائري محمد أركون (1928/ 2010) على اعتبار أنه من المفكرين الذين اهتموا بالمسألة معتمدا على المنهج التفكيكي لنقد العقل الإسلامي، فبعد أن كان الخطاب موجها للنص الديني وكيفية تناوله من قبل الإنسان أخذت منعرجا مغايرا تماما تمثل في وجوب الاهتمام بالإنسان والدعوة إلى اعمال عقله والانفتاح على ثقافات الآخرين.

فالإنسان ظاهرة قابلة للدراسة والنقد فهو يحمل تصورات مختلفة فتصور الدين يختلف عن تصور الحداثة، وهذا ما أسماه أركون بالإنسان الميثاق (كيحل، م، 2011، ص 74)

4.2 المذهب الإنساني في العصر الحديث

ظهر ما يعرف بالمذهب الإنساني في عصر النهضة فكانت هنالك أفكار جديدة ونظرة مستحبة للإنسان فيها الكثير من الاعتداد بالنفس أي ضرورة التأكيد على قيمة الإنسان باعتباره أرق الكائنات الحية، وتعد الحركة الإنسانية أبرز حركة في هذا العصر اهتمت بالعديد من القضايا الإنسانية كالآداب والفنون والفلسفة والعلم وغيرها، طرحت جملة من المبادئ أبرزها إعطاء صورة إيجابية عن الإنسان وإعلاء قيم التسامح والحرية والتحرر والانعقاد وبحلول القرنين 16 و17 سيصبح للعقل الإنساني قوة يتعذر تجاوزها وتجاهلها ولعل هذا ما عكسه شعار فلسفة الأنوار الذي رفعه الألماني إيمانويل كانط (1724/1804) والذي نص على أن "بلوغ الأنوار هو خروج من القصور الذي هو مسؤول عنه (...)" تجرأ أن تعرف، كن جريئاً في استعمال عقلك أنت" (كانط، إ، 2005، ص 83)

لقد تمكّن كانط من بناء أهم قاعدة أخلاقية للتعاملات الإنسانية تتمثل في ضرورة معاملة الإنسانية بنفس الكيفية التي نتعامل بها مع أنفسنا وفي نفس الوقت غاية في ذاتها لا مجرد وسيلة، لهذا عدّ نقطة انعطاف هامة في تاريخ الفكر الفلسفي من خلال إعادة مكانة الإنسان وكرامته لتظهر بعد ذلك معالم الحداثة وأسسها الرئيسية .

5.2 موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر

من أهم المواضيع التي احتلت الصدارة في الفترة المعاصرة خاصة فترة الستينات إثارة إشكالية أزمة النزعة الإنسانية وأهميتها في الخطابات الفلسفية التي عُرِفَتْ بتجليات جديدة لإعادة صياغة مفهوم الإنسان والتي تحمل في طياتها تداعيات اختفاءه وتنبؤ بموته وإلغاء الذات وهو ما عرف بفلسفة موت الإنسان بعد أن قام ميشال فوكو (1926/1984) بتقويض أسس النزعة الإنسانية.

فقبل فوكو أعلن الألماني فريدريك نيتشه (1844/1900) عن موت الإله، فنقد المشروع الغربي الحدائي أو ما يسميه بالميتافيزيقا الغربية بدءاً من أفلاطون لأنها أغفلت الجسد بل وهمشته تحت شعارات ميتافيزيقية مزيفة ومصطنعة لم تزد الإنسانية إلا انحطاطاً تلو انحطاط، ساهمت بشكل أو بآخر في احتقار الإنسان لجسده تحت مسمى الفضيلة والقيم الإنسانية، لذا انتقد نيتشه أساس الميتافيزيقا الذي هو العقل والمنطق والذات

وإرادة الحقيقة ودعا إلى تأسيس مغاير يرد إليه الحقيقة والمعنى وهو الجسد. (أندلسي، م، 2006، ص 73)، ولأن العقل في نظره كان ينظر إلى عوالم مجردة بعيدا عن الحياة ولذاتها ما دفعه إلى إيلاء أهمية للجسد كقوام لوجود الإنسان، ومن هنا وجه نداءً لمحتقري الجسد قائلا: "لأقولن للمستهزئين بالجسد كلمتي فيهم: (...) يقول الطفل أنا جسد وروح فلماذا لا يتكلم هؤلاء الناس كالأطفال؟ أما الإنسان فيقول إنني بأسري جسد لا غير" (نيتشه، ف، 1938، ص 25)

كما اعتبر مارتين هيدغر (1976/1889) الإنسية ميتافيزيقا منطلقا من تساؤل أساسي طرحه في كتابه (الأنطولوجيا الأساسية) من هو الإنسان؟ ووضع المفهوم الأرسطي (حيوان عاقل سياسي) بين قوسين معلقا الحكم وتفكيك المفهوم الميتافيزيقي بالدازاين Dasein فحسبه فإن الكينونة وقعت في النسيان (نسيان الوجود)، "فالمقصود بالنسيان أساسا نسيان اختلاف الوجود عن الموجود" (الدواي، ع، 1992، ص 48) لذا عمل هو الآخر على تجاوز الميتافيزيقا الغربية ليخوض في البحث عن الوجود المنسي بدل الذات الإنسانية التي لطالما عُدت مركزا للكون وبالضبط لحظة إعلان ديكاوت للكوجيتو "أنا أفكر أنا موجود" كنقطة بداية الوعي الأوروبي حسب الدارسين ومنعطف حاسما في تاريخ الفكر الفلسفي الغربي.

3- أثر التقدم البيو تكنولوجي على الهوية الإنسانية

تعتبر الثورة البيو تكنولوجية من أهم الثورات التي مرت على البشرية لما لها من أثر على الإنسان رغم أنها ليست وليدة اللحظة، فهي ثورة علمية نتجت عن التطور الطبي والبيولوجي مسّت أولا الكائن النباتي والحيواني لتصل ذروتها إلى الإنسان محاولة إيجاد حلول للمشاكل الذي يتخبط فيها، فشملت ثلاث مجالات: الطب، البيولوجيا والتكنولوجيا، مما أدى إلى تغيير المفهوم الغربي للإنسان ليصبح متمركزا اليوم حول إمكانية فهم إنسانيته عن طريق الآلة وكيفية استخدامها.

فبعد أن كان الإنسان كائنا عاقلا واعيا، إنسانا بوصفه طبيعة وجوهر حدث هنالك تحولا مركزيا غير النظرة الكلاسيكية لمفهومه، فالإنسان عند الفلاسفة يختلف عن علماء الأحياء وله معنى مغاير أيضا لعلم الإنسانيات لذلك ظهرت حركات تعرف بما بعد الإنسان Posthuman والحديث عن مستقبله في ظل التحولات الراهنة التي تفرضها الثورات الحيوية التكنولوجية مما خلف إشكالا بشأن الكرامة الإنسانية وقدسيتها الكائن الحي.

فإشكاليات لما بعد قد مست الإنسان أيضا بعد أن كان الحديث عن ما بعد التاريخ، ما بعد الحداثة، ما بعد الثورة، وصل الخطاب لما بعد الإنسان.

يراد بلفظ ما بعد الإنسان بأنه مفهوم يسعى إلى إتاحة الفرصة للتكنولوجيا بتعزيز قدرات الإنسان الفكرية والعقلية وهو بذلك الكائن الإنساني الذي ستحوّله التكنولوجيا إلى إنسان مركب من قطع غيار متعددة، إنسان معدّل وراثيا ويصطلح عليه بالمواطن السايبورغي إنسان آلي يشبه الآلة التي أصبحت جزء لا يتجزأ منه ونلتمس هذا في أجهزة الحاسوب الهاتف النقال وغيرها من الآلات. بل وصارت الآلة مثل الجسد تطورت تطورا مذهلا ما يدعو إلى عدم القدرة على التمييز بينها وبين الإنسان ذاته وهي حالة ما بعد الإنسان، أو ما يصطلح عليه بالإنسانية المتجاوزة والتي يرمز لها بالرمز (H+) وقد كان عالم الأحياء البريطاني جولييان هوكسلي (1887/1975) أول من أصدر هذا الاسم وقد كان طموحه هو والعديد من العلماء البحث عن الإنسان المستزاد والمعزّز. نمت ما بعد الإنسانية في أعقاب تقنيات التحكم الإلكتروني والذكاء الاصطناعي والتي تنبأت بظهور كائنات اصطناعية (الطاهير، م، 2023، ص ص 228-229) وبهذا يكون غرضها الأول التركيز على كيفية تحسين القدرات البشرية وتجاوز النقص البشري وهذا ما تنبأ به (لوك فيري): "سيأتي يوم تكون فيه أماننا الإمكانية مُتاحة لزيادة قدراتنا الذهنية والفيزيائية والشعورية والروحية إلى أبعد مما هو متاح الآن. سنخرج من طفولة البشرية لندخل إلى عصر ما بعد انساني" (Ferry; L; 2016; P 42)

إن مصطلح التحسين قديم جديد، قديم لما له من آثار على حياة الإنسان والعمل على الحد من الأمراض والمشكلات الخلقية والتشوهات والتي تظهر نتائجها في الواقع (العدسات اللاصقة، الأطراف الصناعية، العمليات التجميلية...الخ) وهذا أمر ايجابي على صحة الإنسان. يعرف (جيمس كانتون) التحسين بقوله: "يمكن أن يعني أن التحسين الجسدي بالنسبة لمن عانى ضعفا بدنيا استعادة القدرة على البصر أو الحركة. ويمكن أن يعني التعريف نفسه بالنسبة للشخص المسن القدرة على استرجاع طراوة الذاكرة، أيضا وبكيفية أكثر جرأة يمكن لتعريف تحسين الإنسان أن يؤدي إلى تزويد الناس بقدرات متقدمة على السرعة والكلام" (جاكوب وآخ، ص 72)

ويمكن أن نطلق عليه أيضا تعزيز جسد الإنسان وهي أن يتم نقله من شكله الطبيعي إلى شكل آخر مغاير بفضل التدخل التكنولوجي وهي فكرة تمثل تطرفا وتهديدا للطبيعة

البشرية وجموح مجنون لإلغاء الخصوصيات الإنسانية وتخيل ذات ممتزجة ومنصهرة مع التكنولوجيا المتقدمة، بل هي تجديد لطموح قديم وهو خلود الإنسان (الإدريسي، خ، 2013)

كل التطورات التكنولوجية ساهمت في إعادة البحث عن السؤال الهوياتي للإنسان، هذه الهوية التي تكاد تطمس في ظل التقنية التي ستخلف لا محالة فوارق بين الأفراد جسديا وعقلياً. لعل أبرز التقنيات الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence

4- تأثير الذكاء الاصطناعي على جودة الحياة والعلاقات الإنسانية

يعتبر الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence أحد العلوم التي نتجت عن الثورة التكنولوجية المعاصرة وهو مشروع ضخمة ممول من طرف عمالقة الويب تقوده حركة انبثقت عن الثقافة السبرانية الأمريكية في الثمانينات تُعرف اليوم بما بعد الإنسانية. ويعتبر ريموند كرزوال Raymond Kurz Weil (1948) أحد أبرز علماء النزعة الإنسانية العابرة في مجال الذكاء الاصطناعي هذا الأخير الذي يعبر عن مجموعة من الآلات الذكية تحتوي على بيانات تحاكي العقل البشري. فما مصير البشرية في حالة فقدان القدرة على التحكم في هذه البرمجيات مستقبلاً؟

يهتم الذكاء الاصطناعي بالعمليات المعرفية التي يستخدمها الإنسان في تأدية الأعمال التي نُعدها ذكية (يونيه، آ 1993، ص 12) وهنا قد يزول كل ما هو بيولوجي ليحل محله الاصطناعي الذي أبرز عن قدرته في محاكاة الذكاء البشري "فالذكاء الاصطناعي هو ذكاء حفظي يعمل من خلال تعلم المواقف المحتملة من دون وجود مفاهيم لتنظيمها" (كوهين، د، 2022، ص 40)، ليس هذا فقط بعد عملوا على تجاوزه بكونه قادراً على إثارة مشاعره وقدراته الفطرية، وكذا مجاوزة القدرات البشرية التي أعادت رسمها تكنولوجيا النانو والعلوم وتكنولوجيا الدماغ. لقد أصبح يحاكي الإنسان باحثاً عن إنسان آلي، إنسان مرقم إنسان أرقى أو الإنسان السوبرمان بالمفهوم التنشوي، إنسان خارق وفائق الذكاء (ASI) وهذا ما يقصد بالتفردية Singularity.

أمام كل هذا تكون الاكتشافات العلمية قد قدمت خدمة جليلة للبشرية، لكن وجب عدم التغاضي عن الجوانب السلبية التي قد يخلفها أي اكتشاف، وتكمن بالأساس في تأزم العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي ستضر بأنطولوجيا الإنسان وكيفية بنائه لعلاقاته الإنسانية، علاوة على فقدان العديد لوظائفهم بسبب حلول الآلة محل الإنسان.

5- الكرامة الإنسانية في عصر الثورة البيو تكنولوجية

إذا كانت الكرامة الإنسانية مبدءاً رئيسياً في البيوايثيقا فإنها تعني "احترام لا مشروط يعود إلى كل فرد مهما كان سنه جنسه، صحته الجسمية أو العقلية، دينه، ووضعه الاجتماعي" (جديدي، م، 2021، ص259) وهذا دلالة على أهمية احترام الأشخاص ومعاملتهم معاملة حسنة مهما كانت صفتهم، احترام مكاتبتهم الفردية والاجتماعية، والكرامة الإنسانية على المستوى الفلسفي قيمة مطلقة غير قابلة للتصرف وإذا ما جزأناها وجدنا أن هنالك كرامة العمل، كرامة الموتى وكرامة المرضى (Sambu et Le Coz, p219)، فإنسانية الإنسان جديرة بالاهتمام، لأن الإنسانية كرامة وبصرامة فكرية لعل أهم معنى يرتبط بالكرامة مفهوم الاستقلال الذاتي كقيمة متأصلة في الشخص توجب احترام حرمة الحياة البشرية لكن مع اتساع التطور العلمي والتقني وبالأخص ما تعلق بالثورة الحيوية المعاصرة استدعت الحاجة إلى الحديث عن كرامة الإنسان في ظل هذه التغيرات التي مسّت جانب الطب والبيولوجيا.

بداية تم تطوير فكرة الكرامة بشكل منهجي في الكتابات الفلسفية لكانط في كتابه (ميتافيزيقا الأخلاق) حيث جادل بأن الأشخاص الذين يتمتعون بالكرامة لمجرد كونهم بشراً ولأنهم يتمتعون بملكية العقل وهذا هو أساس حقوق الإنسان (Hansen, Schicktanz, 2021, p218). ففي الأدبيات الفلسفية المعاصرة يدور جدل مستمر لتحديد ما إذا كان مفهوم الكرامة يحمل أي محتوى محدّد فقد يكون مفهومها صحيح ولكنه في المقابل مجرد خطابة لكن المؤكد أنه مفهوم قيم (Hansen, Schicktanz, 2021, p217). لعل أهم هذه المسائل التي تُطرح ما تعلق بالموت الرحيم وزراعة الأعضاء وغيرها من التقنيات سنركز على هذين التقنيتين لما لهما من علاقة مباشرة بمفهوم الكرامة.

1.5 الحد بين الجسد والآلة:

لقد أصبح الجسد الذي كان مغيباً ومهمشاً في الميتافيزيقا الغربية أهم ركائز التكنولوجيا الحيوية، بل وسبباً لكل هذه الاكتشافات العلمية التي فاقت الخيال، إذ يرى أصحاب مشروع ترقية الإنسان ممثلين في نزعتي ما بعد الإنسانية والإنسانية العابرة أنّ الإنسان لا يملك خياراً آخر غير التخلص من التطور الطبيعي البطيء واستلام زمام تطوره بيده ليسير نحو الوجهة التي يشاء، وأن يضخم ذكائه ويضاعفه بملايين المرات (جاكوب وآخ، ص 4)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أننا أمام طرح يؤكد على وجود اختراعات مبتكرة تمس

الإنسان في بعض جوانبه وتضرب عرض الحائط عاداته وتقاليده خاصة غياب مفهوم الأسرة (الاخصاب الصناعي) بل وحتى ضرب الهوية والشخصية من خلال خلق حاسوب (آلة) ذكي قد يكون أذكى من البشر أنفسهم وهذا بمساعدة الذكاء الاصطناعي وكذلك تقنية النانو تكنولوجي ونكون بالتالي أمام تحديات تدعونا إلى ضرورة إحياء قدسية الطبيعة الانسانية بالمفهوم الكانطي لأننا أقرب إلى نشر روبوتات نانوية في خلايانا العصبية البيولوجية ليس فقط عضويا بل وحتى على المستوى النفسي من عواطف وأحاسيس "سيصير الإنسان قادرا في نهاية المطاف على تغيير جسده عن طريق الوصول بمنتهى السهولة إلى البيانات الافتراضية مع بقاءه في الواقع -الواقعي- بفضل أجهزة نانو تكنولوجية متداخلة في الدماغ" (جاكوب وآخ، ص 65).

يمكن للجسد المعدل أن يكون أكثر شبابا، قويا وذكيا، وكل هذا بفضل التقنية المعاصرة فضلا عما نشهده اليوم من برامج صحية ورياضية وحميات غذائية والتي تهدف إلى إنسان ذو جسد جميل وقوي ويتم هذا في مختبرات فائقة التطور تعزز وجود الإنسان الفائق وطموحه وهو عودة للبدايات الأولى أين كان الإنسان يبحث عن كيفية للخلود والأمر هنا لم يتغير فغاية البشر منذ الأزل كانت غاية براغماتية تسعى فيها إلى بسط سيطرتها على الطبيعة والتحكم فيها فافرضة الوجود الإنساني الذي لطالما اعتبر نفسه مركزا للكون وما يظهر من تعديلات على جسده المغيب سابقا خير دليل على هذه السيطرة التي تؤسس لهوية جديدة يعاد فيها النظر إلى الأسس والمبادئ لإعادة تصور عادل لمفهوم الإنسان والبحث عن المناطق المسكوت عنها واللا مفكر فيها وهذا ما تفعله الآن البحوث العلمية المكثفة. فمن أهم أحد المشاريع المذهلة من قبل ما بعد إنسانيين تنزيل عقول البشر إلى جهاز كمبيوتر فائق القوة فالعقل البشري حسبه هو نظام لمعالجة المعلومات (جديدي، م، 2021، ص 273).

ما يجعل الهوية عبر الزمن لكائن حي أو شخص ليست هوية أجزاء، بل هي هوية تشكيل هذه الأجزاء (جديدي، م، 2021 ص 274). فمستقبلا سيتم التخلي عن كل ما هو تقليدي. إن حاجة الإنسان اليوم إلى حياة صحية بعيدة عن الضعف والهوان وبعيدة عن حياة دون كرامة خاصة في مرحلة عمرية معينة (الشيخوخة) تدعو إلى التفكير في حلول عملية ساهم الطب المعاصر في إيجاد حل لها لعل أبرزها: الموت الرحيم.

2.5 الموت الرحيم Euthanasia والكرامة البشرية.

قد يكون للموت الرحيم تداعيات تتمثل بالأساس في تخليص المرضى من معاناتهم وآلامهم خاصة أولئك الذين يتعذر شفائهم. ترجع إرهاباته إلى الفلسفة اليونانية القديمة وينقسم المصطلح إلى جزئين: EU بمعنى جيد، و Thanatos وتعني الموت وبذلك يصبح معنى الكلمة هو موت جيد أو موت مريح وبدون آلام. (بوفتاس، ع، 2011، ص163)

هنالك جدل واسع عند الحديث عن الموت الرحيم خاصة أولئك الذين يعارضونه محتجين بالكرامة، خاصة البحث عن كرامة المريض واحترام حياته حتى ولو كانت حالته ميؤوس منها لذلك نجد العديد من المواثيق الدولية تدعو إلى ضرورة صيانه المريض وكرامته التي تلاشت في ظل التقنيات الطبية المعاصرة التي أفرزت تحديات وأزمات حقيقية.

إن أغلب علماء الأخلاق الغربيين ينكرون أن يكون للإنسان الحق في إنهاء حياته لوجود ضوابط أخلاقية تحول دون ذلك فالأفراد ولدوا ولهم حقوقا طبيعية فطرية أبرزها حق الحياة وعلى الطبيب المعالج أن يساعد مرضاه على تجنب المعاناة وهذا من واجبه المهني، فقد جاء في بيان السياسة الصادر عن الجمعية الطبية الأمريكية عام 1973 بشأن الطبيب والمريض المحتضر يفيد بأن إنهاء حياة إنسان عمدا على يد إنسان آخر يتعارض مع ما تناديه مهنة الطب كما أن السماح للمرضى بالموت هو أمر غير مقبول (Rachels, 1985, p89)

وهذا له علاقة مباشرة بالتقاليد الأخلاقية وكذا أخلاقيات الطب، فعلى الطبيب أن يعمل على معالجة مرضاه حتى آخر دقيقة وأن لا يقف متفرجا. ولو أن الجمعية الطبية تضع أربع شروط من أجل وقف العلاج: - يُحظر إنهاء الحياة عمدا.

- أن يكون الموت البيولوجي وشيكا

- وجود وسائل غير عادية لإبقاء المريض على قيد الحياة، وأخيرا فإن الحق في اتخاذ القرار محفوظ للمريض أو لأسرته (Rachels, 1985, p90).

ونظرا للتعريفات الواسعة الاستخدام لهذا المصطلح كان لا بد من محاولة فك التعقيدات المحاطة به عند تطبيقه على المرضى ليتم التمييز بين أنواعه:

1/- القتل الرحيم النشط: وهو اتخاذ خطوات متعمدة من أجل التسبب في وفاة المريض. ويتم هذا بإعطاء جرعة زائدة من الأدوية (Jonson, R, 2016, P 5) وهذا النوع من القتل تكون إرادة المريض غائبة لأنه من المرجح أن يكون السبب فقدان الأمل في شفائه فتُعطى له

الأدوية في حالة غيبوبة، ليتجدد الخطاب حول حقه في الحياة وقدسيتها أليس من حقه أن يقرر؟

2/- القتل الرحيم السلبي: ويعني حجب وإزالة الأجهزة المساعدة ويكون عن عمد وبإرادته يشار إليها عادة باسم "سحب القابس" (Jonson, R, 2016, P 5) ويعني أن المريض يموت طبيعياً لأن حياته أصلاً كانت مربوطة بأجهزة تساعد على البقاء حياً خاصة جهاز التنفس الاصطناعي وقد يكون هذا القتل أفضل من الأول لما له من حفظ لحق المريض في تقرير مصيره.

3/- القتل الرحيم الطوعي (الإرادي): وهو أن يكون المريض بصحة جيدة ومستقرة ولكنه يرغب في إنهاء حياته وهو أقرب إلى الإعدام لكنه بمساعدة الآخرين، وفي المقابل هنالك قتل رحيم غير طوعي يكون فيه المريض غير قادر على اتخاذ القرار لصغر سنه وهنا يتدخل وكيله القانوني.

بالرغم من تعدد الأنواع إلا أنه كان لزاماً التركيز على الخطاب الفلسفي القيمي وما تمخض عنه من نتائج تجاه هذه التقنية التي قد تصبح مستقبلاً ذريعة في يد الأقوياء من أجل تصفية عرقية علاوة على قدسية الإنسان وكرامته التي وجب أن تُصان لقوله تعالى: *وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ* (سورة الإسراء، الآية 70)

أضف إلى ذلك القسّم الذي عرفه الإنسان في القرون الماضية مع أبقرات (460 ق م-370 ق م)، فهل سيتمكن الطبيب من الوفاء بهذا العهد والقسّم الذي يعتبر رمزاً للأخلاقيات الطبية؟ لعل هذا ما أدى إلى وجوب تقنين القتل الرحيم، فلقد انقسمت وجهات النظر إلى ثلاث خاصة ما تعلق بكرامة الإنسان باعتبارها استقلالاً ذاتياً/ الكرامة من منظور نفعي لجودة الحياة/ وأخيراً باعتبارها تميزاً في الوجود (Lafferrierre, J, 2020, p 350)، والاستقلال الذاتي يُعتبر معنى رئيسياً للكرامة كقيمة متأصلة في الشخص مما يعني احترام حرمة الحياة البشرية، والجدل الذي ينشأ حول القتل الرحيم بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من أمراض مميتة وميؤوس منها ولكنهم يتلقون دعماً طبياً أو حتى بيو تكنولوجيا.

ومن بين التخصصات التي تأثرت بتقنيته أطباء الرعاية التلطيفية الذين يريدون مرافقة المرضى خلال جميع مراحل مرضهم، ففي نوفمبر 2005 ألغى البرلمان البلجيكي صرف وصفة طبية قاتلة واعتبر هذا الفعل إجراماً (Lafferrierre, J, 2020, p 351). أضف إلى ذلك وجود تصور آخر قد يكون نفعياً يسعى هو الآخر إلى تبرير الموت الرحيم معتبرين أن

الكرامة تطلب السماح للشخص بالانتحار، لأنه يعيش مرضاً عضالاً وحتى يتم حمايته من العيش حياة مهينة وغير كريمة "فالمعيار النفعي فيما يتصل بالكرامة يستلزم تصنيف الأرواح باعتبارها جديرة بالعيش" (Finnis, J, 1998, P 1144)

3.5 زراعة الأعضاء Transplantation of Organ

فرضت المناقشات المعاصرة حول أخلاقيات علم الأحياء وخاصة في مجال زراعة الأعضاء والأنسجة والخلايا وجوب احترام الأشخاص وعدم استغلالهم، وأن يكون لزاماً على الأطباء التمتع بأخلاقيات طبية وواجبات خلقية تؤهلهم إلى تحمل كامل المسؤولية تجاه المريض فيكون الغرض الأول والأسعى اعانته وتخليصه من المعاناة بدل استخدامه كوسيلة من أجل إجراء تجارب وهنا تكمن الإساءة إلى كرامة الآخرين وهذا ما أوضحته الدكتورة سيليا في مقال لها بعنوان (الكرامة الإنسانية الكانطية): "إن عمليات زرع الأعضاء من خلال تحويل أجزاء من الجسم البشري إلى سلع قابلة للتحويل تعيدنا إلى ضرورة التأمل الكانطي حول معنى الكرامة". (Sambu et Le Coz, p220)، وزراعة الأعضاء كلمة تعني انتزاع عضو ما سليم أو نسيج من الأنسجة البشرية من مانح سواء أكان حياً أو ميتاً للمريض أو المستفيد الذي يعاني من مرضٍ ما كزراعة الكلى مثلاً وتعد من بين التقنيات العلمية الحديثة المتعلقة بالهندسة الوراثية المساعدة على انقاذ المرضى من الموت وتخليصهم من المعاناة والأمراض.

في الثاني من ديسمبر 1982 أصبح (بارني كلارك) أول إنسان يحصل على قلب صناعي دائم وكان عمره 61 سنة، لقد حظيت هذه العملية بقدر هائل من الدعاية الإعلامية، وكان أغلبها بسبب القفزة التي أحدثتها التكنولوجيا الجديدة (Rachel's, J, 1985, P79) قد يبدو للوهلة الأولى أن هذا الأمر عادي ولكنه يعد مثلاً حياً على أن المريض كلارك فضل الحياة بعضو اصطناعي بدل الموت وهذا راجع إلى حالته النفسية فالظاهر أنه كان سعيداً وراضياً بالبقاء حتى ولو كان مرتبطاً بآلة. يقول الدكتور (وليم ويل) رئيس قسم الأعضاء الاصطناعية في جامعة يوتا: "من المشروع تماماً أن يكون لهذا الرجل الذي تم تمديد حياته الحق في قطعها إذا لم يكن يريد ذلك خاصة إذا توقفت الحياة عن أن تكون متعة" (Rachel's, J, P79)، ليتم التأكيد على أن للمريض الحق في تقرير مستقبله ككائن له كرامة يدرك من خلالها الخصائص التي يتميز بها ككائن عاقل وأخلاقي تمنعه من التصرف وفق ميولاته ورغباته فالفعل الخلقي يكون نابع من صميم النية والإرادة بحسب كانط. "فجسم

الإنسان يستحق أن يعامل كغاية في حد ذاته، لأنه المظهر الحساس لشخصية الشخص" (Sambu, C, P223) وهنا كان لزاما على الطبيب أن يتمتع بأخلاقيات الطب وبالواجب الخلقي وأن يتحمل المسؤولية تجاه مرضاه وعدم الإساءة إلى كرامة الآخرين، فالمناقشات المعاصرة حول أخلاقيات علم الأحياء وخاصة في مجال زراعة الأعضاء ترفض استغلال الأشخاص سواء في حالة التبرع الحي أو بعد الوفاة.

لكن أصبح الحديث عن موضوع أبعد وهو بيع الأعضاء البشرية لأن هذه المسألة ستخلف مشكلا أخلاقيا إذ كيف سيتم بيع الأعضاء وربطها بالكرامة الإنسانية ألا يؤدي هذا إلى اختلال نمط العلاقات الإنسانية الاجتماعية كالتضامن والتكافل؟

توفر لنا ممارسة بيع الأعضاء سياقاً مهماً لاستكشاف معنى الكرامة ووظيفتها المعقولة، ليتم التأكيد على وجود صلة بين الكرامة والاستقلال كما أشرنا سابقاً ليتجدد الخطاب حول العلاقة التي تربطهما. فهناك حجج مختلفة قائمة على الكرامة في مناقشة بيع الأعضاء على وجه الخصوص، فبعض الممارسات يُعتقد بشكل بدوي أنها مهيبة ومذلة كما يشير مندل في كتابه الصادر عام 2021، ليحدث انتهاك الكرامة عندما يُنظر إلى الناس رمزياً ويُعاملون بطرق معينة لا تتوافق مع قيمتهم أي مع كرامتهم. لذا يقال أن السماح بممارسة بيع الأعضاء يشكل تهديداً صارخاً للكرامة الإنسانية (Hansen, Schicktranz, 2021, p2018).

6- خاتمة:

نستنتج من خلال هذه الورقة البحثية أن الحديث عن مفهوم الإنسان بمفهومه التقليدي قد أخذ منحرجات متعددة بحسب النسق الفلسفي، لكن بدأ الخطاب الأساسي مع الأنثروبولوجيا الفلسفية منذ أعلن إيمانويل كانط عن سؤاله: ما الإنسان؟ هذا الأخير الذي لطالما بحث عن آماله في عيش حياة كريمة سعيدة، حياة بعيدة عن المعاناة والأمراض والآلام ليس هذا فقط بل حتى امتلاكه للهوس في الخلود وفي أن يصير إنساناً أكستروبياً، علاوة على بحثه الدائم عن الإنسان الكامل رغم معرفته بمصيره المحتوم (الموت)، إلا أنه بقي يحاول ويبحث عن منافذ للخلاص وأن يقضي عن فكرة الموت بالبحث عن بديل لها موت الموت. لعل آخرها الثورة البيو تكنولوجية ونقص هذا بالتحديد المجال الطبي وهو ما يعرف بالتكنولوجيا الحيوية الحمراء التي حولته في الحقيقة إلى شيء من الأشياء فغابت كينونة وحقيقته وأذابته في اتجاه أقرب ما يكون إلى اعتباره آلة كغيرها

من الآلات، انفلتت من قبضة العلم ماهية وجوهر الإنسان فأصبح الحديث عن مستقبله أو لنقل عهد جديد للإنسانية أو لنقل إنسان الما بعد.

إن هذه التقنيات (الهندسة الوراثية، ثورة الجينوم، الاستنساخ، الذكاء الاصطناعي...) قد جعلت من الإنسان متجاوزا وعابرا في الوقت نفسه، متجاوزا لحدوده التقليدية بيولوجيا وأخلاقيا قيما من خلال التدخل في تحسين إمكاناته الوراثية هدفهم القضاء على الشيخوخة وإطالة فترة الشباب... عابرا من خلال الاستعانة بالتقنيات سابقة الذكر فيصير الإنسان عابرا لحقيقته الأولى إن كان بيولوجيا فيندمج مع الآلات ليس هذا فقط بل حتى من الجانب العقلي. ليتحول الحديث عن إشكالية الما بعد فنجد الخطاب متمركزا عن مستقبل الإنسان وكيفية تحسين قدراته العقلية والجسمية متحكمين في الجسد الذي غُيب لفترة طويلة جدا وبدأت ترجع مكانته مع نيتشه.

التكنولوجيا أخطر ما يهدد الإنسان فالتحالف الرباعي (NBIC) بالرغم من الإيجابيات والفوائد التي قد يقدمها للبشرية في مجالات عدة إلا أنه عمل على إفلات صارخ لمفهوم الإنسان باعتباره كائنا يملك كرامة واستقلالية هاته الكرامة التي جُرد منها وأصبح عبدا لهذه التقنيات.

إنّ الحديث عن مخاطر هذا التحالف على الإنسان يستدعي في المقابل الحديث عن كيفية إعادة الاعتبار للأنثروبوس Anthropos وللطبيعة الإنسانية.

النتائج المتوصل إليها:

* انتقال الخطاب الفلسفي الغربي من الحديث عن الإنسان العاقل الأخلاقي السياسي... إلى الإنسان المعدل المعزز في زمن التقنية، فأصبح يتمركز حول إمكانية فهم إنسانيته عن طريق الآلات والأجهزة الفائقة التطور (الإنسان السايبورغ Cyborg) وهذا يشكل خطرا مستقبلا خاصة على الطبقات الهشة الضعيفة التي يتم استغلالها.

*مراهنة الإنسان على العلم كمخرج من مأزق تفتت الذات وتمزقها مع الموت المتتالية خاصة منها موت الموت، ولعل الكشوفات البيو تكنولوجية المعاصرة زادت من شغف الإنسان لبلوغ الكمال وعودة آماله في الخلود (ملحمة غلغامش) وما ظهور الحركات المنادية بذلك خير دليل (الإنسانية المتحولة، الإنسانية العابرة، الإنسانية المتجاوزة...)

* من مخرجات التكنولوجيا المعاصرة أنها ستجعلنا نشهد مستقبلا كل التنبؤات التي تنبأها المستقبليون ودعاة الإنسانية المتجاوزة أبرزها الاستغناء عن الإنسان بمفهومه

الكلاسيكي والاعتماد على الروبوتات التي ستصبح أكثر ذكاء، ليتحقق الخيال العلمي على أرض الواقع ولو أن هنالك دول كبرى قد شهدت هذا التطور (مصانع الصين لصنع روبوتات تشبه الإنسان إلى حد كبير/ الاعتماد على خدمة الزبون في المطاعم من طرف الروبوت / كذلك في الملاعب الأوروبية تم الاستعانة بالروبوت معوضا الشرطة وغيرها من الأمثلة)

المراجع:

- البواي عبد الرزاق، (1992)، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- أندلسي محمد، (2006)، نيتشه وسياسة الفلسفة، ط1، المغرب، دار توفال.
- بريدوتي روي، (2021)، ما بعد الإنسان، تر: حنان عبد المحسن مظفر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- بوفتاس عمر (2011)، البيوتيقا - الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيو تكنولوجيا، المغرب، إفريقيا الشرق.
- جاكوب فرانسوا وآخرون: الإنسان في محب التقنية - من الإنسان إلى ما بعده- (دون تاريخ)، تر: محمد أسلم، فاس، مطبعة بلال.
- جديدي محمد (2021)، الأفق البوابتي، ج1، الجزائر، دار ميم للنشر.
- جديدي محمد (2021)، الأفق البوابتي، ج2، الجزائر، دار ميم للنشر.
- فخري ماجد (1991)، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط1، بيروت، دار العلم للملايين.
- كاسيرر أرنست (1961): فلسفة الحضارة الإنسانية، تر: إحسان عباس، بيروت، دار الأندلس.
- نيتشه فريدريك، (1938)، هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس، الإسكندرية، مطبعة جريدة المصير.
- هابرماس يورغن، (دون تاريخ)، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر: جورج كشورة، المكتبة الشرقية.
- كاتل إيمانويل، (2005)، ثلاثة نصوص: تأملات في التربية ما الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟، ط1، تعريب وتعليق: محمود بن جاعة، دار محمد علي للنشر.
- كرم يوسف، (1936)، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- كوهين دانيال (2022)، الإنسان الرقمي والحضارة القديمة، تر: علي يوسف أسعد، ط1.
- كحل مصطفي، (2011)، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، الرباط، منشورات الاختلاف، دار الأمان.

المقالات:

- خالد ميار الإدريسي (ما بعد الإنسان: قراءة نقدية واستشرافية للإفراط التكنولوجي وتأثيره على الوضع الانساني)، مجلة مآلات، 2013/4/24.

الأطروحات:

- محمد الطاهير: البيو تكنولوجيا ومستقبل الانسان- الهندسة الوراثية أمودجا- أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، جامعة المسيلة، الجزائر، 2023/2022

المراجع باللغة الأجنبية:

- , La Révolution Trans humanisme Comment la techno médecine et l'uberisation du monde vont bouleverser nos vies ? , Paris (-) 2016 (Ferry Luck)
- Finnis John, Euthanasia, Morality and Law, 31 Loy. L. Rev 1123, 1997-1998, Available at: <https://scholarship.law.nd.edu/law-faculty>
- , Moral Permissibility of Active Euthanasia, Master Dissertation in Philosophy, University of Oslo (2016- Jonson Raid)

Dignity at the end of life and Decriminalization of Euthanasia, en)2020(- Lafferriere Jorge Nicolas
criminal Law and Morality in the Age of consent, Springe International Publishing.
,The End of life –Euthanasia and Morality, OXFORD UNIVERSITY) 1985(- Rachels James
PRESS, NEW YORK
. -Sambu Cléa et Le coz Pierre , La Dignité Humaine Kantienne –Une justification Théorique des
Transplantation D'organes
, Ethical Challenges of Organ Transplantation, by) 2021 (- Solving Lena Hansen, Silke Schicktanz
the German Research Foundation.